دور الموارد في سيرورة التحولات المجالية وتحقيق التنمية الترابية للمراكز الحضرية الصاعدة
حالة جماعة سبع عيون إقليم الحاجب

الباحث ياسين اعبابو
باحث في الجغرافيا
كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة المولى إسماعيل مكناس
المغرب

ملخص:

تشكل الموارد دورا مهما في توسع التجمعات السكانية الصغيرة إلى مراكز حضرية صاعدة، وتساهم طبيعة الموارد في توجيه سيرورة التحولات المجالية لهذه المراكز نحو مدن ذات وظيفة فلاحية، أو مدن ذات وظيفة صناعية وتجارية. ونظرا لبروز المراكز الصاعدة بشكل كبير في السنوات الأخيرة، فقد ارتأينا مقاربة الإشكاليات المرتبطة بنشأة وتطور المراكز الصاعدة بالمغرب، من خلال دراسة حالة مركز سبع عيون، خاصة أن هذا المجال يتوفر على إمكانات مهمة قادرة على تعزيز مكانتها على الصعيدين الإقليمي والجهوي.

الكلمات المفتاحية: الموارد الترابية، التحولات المجالية، التنمية الترابية، المراكز الحضرية الصاعدة.

Abstract:

Resources plays an important role in the expansion of small population groups into emerging urban centers, and the nature of resources contributes to direct the process of functional transformation of these centers towards cities with an agricultural function, or cities with industrial and commercial function. Due to prominence of emerging centers significantly in recent years, we have decided to approach the problems associated with the start and development of emerging centers in Morocco, by studying the case of Sebaa Ayoun center . especially since the region has important potentials capable of strengthening its position at the regional and regional levels .

Key words : Territorial Ressources _ Transformations – Transformations spatials -Territorial development – Rising urban centers.

مقدمة

تكتسي التنمية الترابية في بعديها الاقتصادي والاجتماعي أهمية كبرى، وأضحت الشغل الشاغل لمختلف المسؤولين والمهتمين بشؤون التنمية، هاته الأخيرة تستدعي استغلال كل الموارد الترابية الممكنة وتعبئته من أجل تحقيق التنمية المحلية وتحسين الظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية لأفراد المجتمع. هذا وتشكل الموارد أساس الحياة بمجال جغرافي معين؛ إذ اعتُبِرت على مر السنين من بين أهم عناصر الاستقرار البشري المؤسس لتطور العمران، وظهور المدن بشكلها الحالي. ذلك أنها كانت السبب المباشر وراء الانتقال الذي عرفته البشرية من حياة التنقل والترحال إلى حياة الاستقرار بمجال جغرافي بعينه، وهذا ما ساهم بدوره في تطور المهارات البشرية المرتبطة بالتعاطي مع الموارد التي يوفرها مجال الاستقرار. فكان أن تطورت صناعات وحرف تقوم على استغلال الإمكانات المتاحة لتثمين مواردها، وتحقيق الاستفادة القصوى من فوائدها على مستويات متعددة، لتشكل اللبنة الأولى لنظام المدينة كما نعرفه الآن.

ورغم تغير الظروف بين الماضي البعيد والحاضر، فإن الموارد كانت وما زالت تحتفظ بنفس الأهمية الاستراتيجية بالنسبة للجماعات البشرية المستوطنة لأي مجال. ومع تزايد الحاجيات ارتباطا بتغير نمط العيش الذي أصبح مبنيا على كثرة الاستهلاك، أضحت الحاجة ملحة إلى المزيد من الأموال لتغطية الكماليات من الحاجيات قبل الأساسيات، سواء بالنسبة للأفراد أم بالنسبة للجماعات والمؤسسات، في صراع محموم يغذيه طغيان النزعة الفردانية في حب الظهور، والسطحية في التفكير.

من هذا المنطلق، حاولت هذه الدراسة الوقوف على أهم العوامل المساهمة في تحول وظيفة المراكز الحضرية الصاعدة بالمغرب من خلال دراسة حالة سبع عيون باعتبارها أحد المراكز الحضرية الصاعدة بإقليم الحاجب.

❖ الإشكالية

في سياق التحولات السريعة التي تعرفها المراكز الصاعدة بالمغرب، وما تعرفه من مشاكل مرتبطة بعجزها عن تحقيق التحول نحو المدن التجارية والصناعية، تأتي هذه الدراسة لمقاربة جملة من الإشكاليات المرتبطة بهذا التوسع، يمكن تلخيصها فيما يلي: ما هي آليات تشكيل المجال المحددة لسيرورة التحول الوظيفي والمجالي للمراكز الصاعدة باتجاه مدن ذات وظيفة فلاحية أو ذات وظيفة صناعية وتجارية؟ وما هو العامل الرئيسي المحدد لاتجاه هذا التحول؟

❖ فرضية البحث

انطلقت الدراسة من فرضيات متعددة، وبعد إخضاعها للتحليل ارتباطا بالبحث الميداني، تبادرت إلى ذهننا

من وراء اختيارنا لهذا الموضوع إثبات فرضية مفادها، أن سيرورة التحولات المجالية والموارد الترابية

بجماعة سبع عيون كفيلة النهوض بالتنمية المحلية ولها دورا أساسيا في تحسين الوضعي ة الاقتصادية والاجتماعية للساكنة المحلية.

❖ أهمية الدراسة

تستمد هذه الدراسة أهميتها من خلال تركيزها على دراسة المراكز الصاعدة، باعتبارها تمثل ظاهرة متزايدة الانتشار بالدول النامية عموما والمغرب على وجه الخصوص، وتحمل في تطورها مشاكل إضافية للمدن الكبيرة. من هذا المنطلق، تصبح دراسة المشاكل التي تعاني منها المراكز الصاعدة ذات أهمية قصوى، نظرا لما قد تحمله من حلول للمشاكل الآنية والمستقبلية التي تعيشها هذه المراكز

بهدف التوصل إلى توجيه دينامية تحولها في اتجاه خلق تنمية مستدامة، قادرة على توفير إطار عيش كريم يساهم في تثبيت الساكنة في مدينة صغيرة ذات وظيفة محددة.

❖ منهجية البحث

انسجاما مع طبيعة الموضوع، تمحورت منهجية الدراسة حول المزاوجة بين العملين الميداني والببليوغرافي، لمقاربة ظاهرة تحول المراكز الصاعدة بالمغرب، وانطلاقا من كون المجال يخضع لتطور عشوائي، وتتميز بنائها الاقتصادي بالغير المهيكل. وقد تم الاعتماد على المنهج الوصفي للوقوف على طبيعة الموارد التي يتوفر عليها المركز، ثم المنهج المقارن، بغية الخروج بخلاصات مؤسسة لطبيعة التحول الذي عرفه المركز، وتحديد العامل المسؤول عن تحديد وظيفة المركز الصاعد باعتباره مدينة مستقبلية.

لتحليل المعطيات والبيانات المتحصل عليها، تمت الاستعانة بمجموعة من البرامج من بينها برنامج ArcGis لتحليل المعطيات جغرافيا وكارتوغرافيا، ثم برنامج SPSS لتحليل المعطيات الإحصائية بعد تفريغ الاستمارات وتنظيمها في قاعدة بيانات رقمية.

❖ تفكيك المفاهيم الأساسية للبحث

← التنمية

يقصد بها الجهود المنظمة التي تبذل وفق تخطيط مرسوم للتنسيق بين الإمكانيات البشرية والمادية المتاحة في وسط اجتماع ي معين من أجل تحقيق مستويات أعلى للدخل القومي والدخول الفردية ومستويات أعلى للمعيشة والحياة الاجتماعية في نواحيها المختلفة للوصول إلى تحقيق أعلى مستوى ممكن من الرفاهية الاجتماعية، والتي ينبغي أن تتم دون هدم أو تشويه الشخصية الثقافية للشعوب.[1]

← التحولات المجالية

يقصد بالتحول عامة ذاك الانتقال من حال إلى حال أي من وضعية سابقة إلى أخرى لاحقة. والتحولات المجالية هي مجموعة من التغيرات التي تطرأ أو يمكن العثور عليها في إقليم ما مع مرور الزمن على الوسط الطبيعي والبشري وتطبع الميدان الاقتصادي والاجتماعي، السلوكي، الثقافي، السياسي[2]، كما أن التحولات التي تعتري المجال لا يعني دائما قفزات كمية وكيفية نحو التقدم والتطور، بل يكون أحيانا تراجعا إلى الوراء على المستوى المجالي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي

← التنمية الترابية

سيرورة ذات أبعاد اقتصادية وسوسيوثقافية وسياسية، وذات منحنى عمودي بيقطاعي، يتم من خلالها تعبئة الفاعلين وتثمين الموارد الظاهرة والخفية، وتتمحور حول تراب معين، ونابعة من دينامية داخلية لمواجهة الإكراهات الخارجية وقضايا البيئة. وهي تنمية لا تعني موقعا أو مجالا فحسب، بل تعني حيز ترابي متملك بالنظر إلى كون الحيز الترابي هو نمط لمجموعة من الأبعاد المتعددة: اجتماعية، اقتصادية، ثقافية، وتاريخية، وهوياتية. بمعنى أن هذه التنمية هي حصيلة التفاعل بين المحلي والكوني، فهي ليست داخلية فقط بل تستفيد من الفرص الخارجية [3]. ويقتضي تحقيق التنمية الترابية توفر عدة شروط أبرزها وجود هيئات محلية فعالة تتقاسم الاختصاصات التنموية مع الدولة، أي وجود سلطة محلية مستقلة الاختصاص عن الدولة، ومزودة بالإمكانيات القانونية والبشرية والمالية الكافية، وجود مصالح ومتطلبات للساكنة المحلية، اعتماد المقاربة المندمجة والمقاربة التشاركية باعتبارهما آليتين تسمحان بتعدد الفاعلين وتدخلهم وفقا للتشخيص التشاركي لاحتياجات الساكنة المحلية[4] .

❖ **حدود مجال الدراسة**

تستمد تسمية هذه المدينة الصغيرة بهذا الاسم إلى الينابيع المائية السبعة والتي شكلت دور فعالا في نشوء هذه البلدة وتطورها وتوسعها فيما بعد.

ويتجسد مجال الدراسة "الجماعة الحضرية سبع عيون" إداريا لإقليم الحاجب بعد التقطيع الجماعي الذي أحدث سنة1992 ضمن جهة فاس مكناس، وتقع المدينة بالشمال الشرقي لمدينة الحاجب التي تبعد عنها ب 30 كلم، كما تتوسط المجالات الحضرية الكبرى من اهمها مكناس التي تبعدها غربا ب 25 كلم وفاس شرقا ب 45 كلم، وعن عين تاوجطات ب 20 كلم. وتمتد على مسافة 40 كلم، تحدها شمالا جماعة واد الجديدة عبر حدود الطريق الوطنية رقم 6، وجنوبا آيت بويبدمان؛ أما شرقا جماعة لقصير، وغربا سيدي سليمان مول الكيفان.

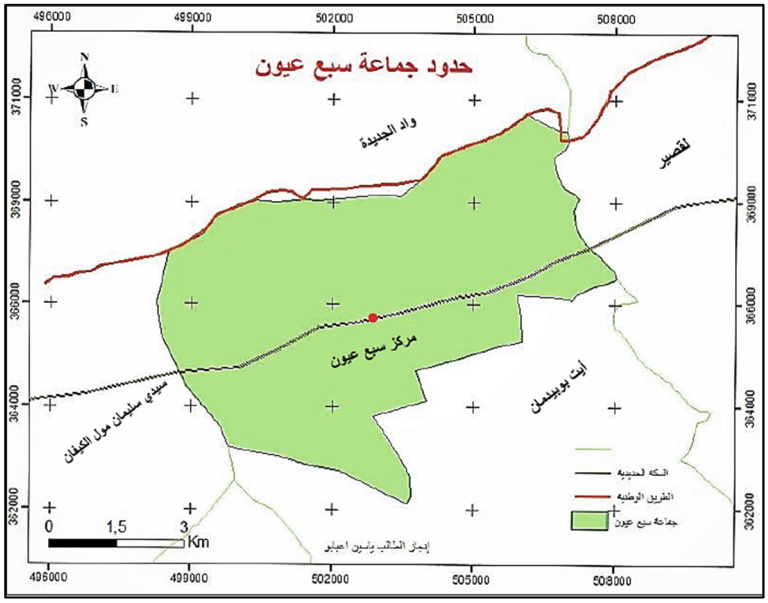

المصدر: إنجاز شخصي باعتماد نظم المعلومات الجغرافية **ARC GIS** استنادا على نتائج التقسيم الجهوي

I ديناميةالموارد والتنمية الترابية بالمراكز الصاعدة

تستمد أغلب المراكز الصاعدة بالمغرب اليوم قوتها أساسا من مواردها الترابية، وهو الشيء الذي ينطبق على مركز سبع عيون الذي يشكل إحدى أهم المراكز الحضرية الصاعدة بجهة فاس مكناس، من خلال غنى مواردها الطبيعية ومناخها وموقعها الجغرافي، مزيج هذه العوامل يقدم للمدينة عدة إمكانيات استثمارية وعدة بدائل لترسيخ قاعدتها الاقتصادية من خلال تفضيل قطاعات ذات القيمة المضافة.

1) أهمية الموقع في تحديد دينامية تحول المراكز الصاعدة في علاقتها بالمدن الكبيرة:

يكتسب الموقع أهمية قصوى في سيرورة التوسع والتمدين التي تعرفها المراكز الحضرية بمختلف أصنافها؛ إذ يوفر مجموعة من الفرص والإمكانيات التي تساعد على تطور المدينة وازدهارها، كما قد يطرح مجموعة من المعيقات والإكراهات التي تحول دون تطورها بالشكل المطلوب. وبما أن الموقع يبقى معطى مفروضا في كثير من الأحيان؛ إذ لا يمكن تغييره بالنسبة للمراكز التي ترى أنه غير مناسب، فإن البحث عن السبل الكفيلة بتجاوز معيقاته وتثمين مؤهلاته، تبقى من أهم أولويات المؤسسات والفاعلين المسؤولين عن تدبير وتسيير هذه المراكز والمدن. في هذا السياق، تبرز أهمية الموقع الاستراتيجي لمركز سبع عيون، إذ يعتبر من المجالات التي تتميز بموقع جغرافي مهم بين قطبي العاصمة العلمية فاس والإسماعيلية مكناس، ولمحاذاته لمجال هضبة سايس ومقدمة الريف والأطلس المتوسط الشيء الذي يميزه بتنوع طبيعي ومميزات مناخية ملائمة، وبحكم موقعها بهضبة سايس، فإن تضاريس مدينة سبع عيون يغلب عليها طابع الانبساط، حيث يتراوح علوها المطلق ما بين 500 و600 متر فوق سطح البحر. تتكون من أراضي يطغى عليها طابع الانبساط كما هو مبين في الخريطة التالية:

خريطة 2: توضح الموقع المتميز مدينة سبع عيون

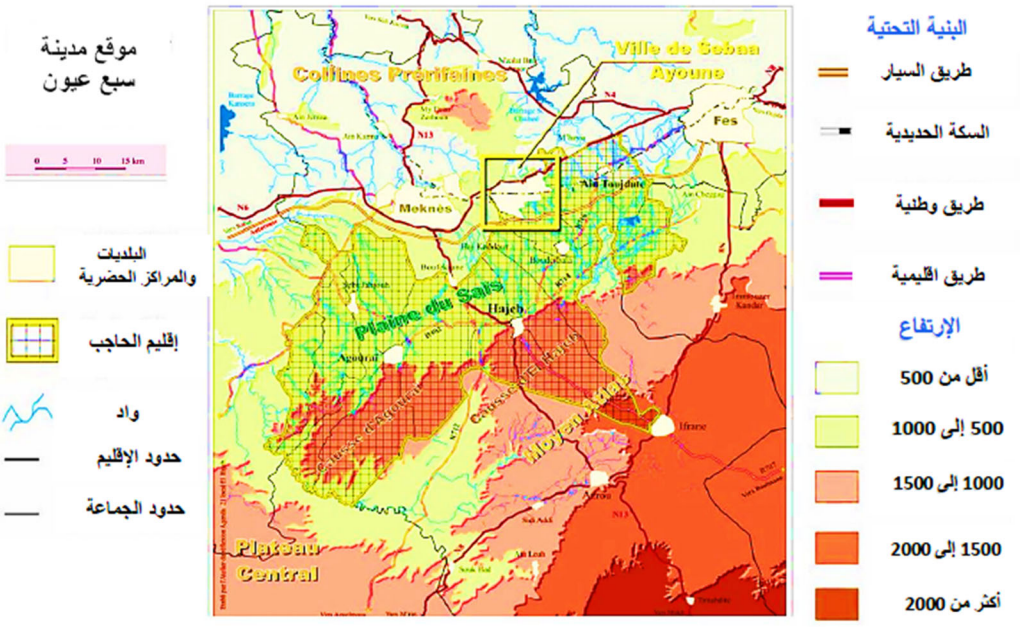

المصدر: المذكرة الواحدة والعشرون المحلية لسبع عيون بتصرف

بتموقعها فوق هضبة سايس فإن الجماعة تتميز بانبساط سطحها وسهولة التنقل فوق مجالها الترابي، إذ لا تتخللها سوى موانع طبيعية بسيطة، كبعض الأودية غير المتعمقة: واد مهدومة، وواد الجديدة.. وبالتالي

فالموضع المنبسط ساعد على امتداد السكن وتوسعه بشكل مطرد.

وتتعزز هذه المكانة أيضا بوقوع سبع عيون على مفترق العديد من خطوط المواصلات الهامة كالطريق الرئيسية الرابطة بين مكناس وفاس، ثم مكناس أزرو في اتجاه الصحراء، علاوة عن خط السكة الحديدية التي تعتبر عنصر توافد العديد من الأجانب أو مغاربة جاءوا بحثا عن فرص الشغل بالمنطقة [5] .

ويمثل اليوم القرب من لكل من مدينتي فاس ومكناس، وما يتيح من إمكانية الاستفادة من البنيات التحتية المهمة التي توفرها معطى يمثل نقطة قوة ومصدر ضعف للجماعة في نفس الوقت؛ حيث يساهم في تطورها ارتباطا بتطور هذه المدن الكبرى (فاس ومكناس) باعتبارها قطبا صناعيا وسياحيا مهما في بنية النسيج الوطني، وبالتالي، فأي طفرة اقتصادية تعرفها هذه المدن المجاورة إلا وستجد صداها على مركز سبع عيون، نظرا للارتباط الوثيق بينها على أكثر من صعيد. لكن، وبحكم نفس المنطق، فإن هذا القرب يتحول إلى نقطة سلبية تؤثر على تطور المركز، وتوجهه نحو العشوائية وعدم التنظيم، عندما تصبح بمثابة ملجأ للأنشطة والممارسات السوسيو اقتصادية التي ترفض مدينة مكناس استقبالها، أو الاحتفاظ بها، لتصدرها إلى مركز سبع عيون، وهذا ما ساهم في بقائه دون مستوى التطور المطلوب، مقارنة بالمؤهلات الجمالية والطبيعية التي يوفرها الموقع.

وعموما يمكن القول بأن الموقع الاستراتيجي لمدينة سبع عيون ساهم على الاستقرار البشري وتوسع مجالها العمراني خصوصا بالنظر للموارد الترابية المتوفرة بها ، فقط هي بحاجة ماسة للترويج لصورة الجماعة والمساهمة في الرفع من جاذبيته ، إذ رغم كل هذا فإنها لا تستفيد من المؤهلات الكامنة التي يوفرها هذا الموقع بالشكل المطلوب، وهذا ما يضع القائمين على تسييرها موضع تساؤل، باعتبارهم مصدر تضييع الفرص التي يوفرها، وحرمان الساكنة المحلية من الاستفادة من الثروات الممكن تحصيلها في حال تم تثمين الموقع، واستغلاله لتحقيق التنمية الترابية لجميع الساكنة في إطار العدالة الاجتماعية.

2) دور الموارد والمؤهلات الطبيعية في التحولات المجالية

تستمد مدينة سبع عيون قوتها من موارها الطبيعية أساسا وهو الأمر الذي شكل منها منطقة فلاحية بإمتياز، إذ كما سلف الذكر أن معظم تضاريس سبع عيون يطغى عليها طابع الانبساط ذات تربة خصبة يطغى عليها طابع كارستي القابل للاختراق والنفاذية العالية، فبالإضافة للامتداد المجالي الذي تسوده الأراضي المنبسطة والمسطحة على أغلب تضاريس سبع عيون، تتوفر الجماعة على أخصب الأراضي على الصعيد الوطني، والغنية بالمنغانزيوم والزنك الى جانب انخفاض معدل الملوحة فيها مقابل فقرها من حيث الحديد[6]. كما تتسم سبع عيون بثروة مائية مهمة خاصة الجوفية منها، إذ تقع المنطقة بين ثلاث نطاقات هيدرولوجية: سديمة فاس مكناس وسديمة كوص آكوراي، وسديمة كوص الأطلس المتوسط. وكذلك بالشبكة الهيدروغرافية المتشعبة والواقعة بين واد الجديدة وواد بوكناو التي تتغذى بصبيب من المنابع الكبيرة للسديمة الباطنية.

بالنسبة للمناخ وبحكم موقعها وسط البلاد وكذلك البعد عن البحر الأبيض المتوسط والمحيط الاطلنتي، فهي تتميز بالظاهرة القارية و بالتالي فإن المناخ السائد هو مناخ قاري ذو خصائص متنوعة حيث نجد شتاء بارد الى برودة شديدة و صيف حار وجا. إذ يشكل متوسط درجة الحرارة السنوي تبلغ حولي 22 حيث تتراوح بين 8 و36. هذه الدرجات الحرارية المسجلة يوميا وسنويا تمثل أهمية

قصوى، تشكل مناخا ملائما ولها تأثير إيجابي على مختلف الأنشطة بالمدينة. أما بالنسبة للتساقطات يبلغ متوسط التساقطات المطرية بالمنطقة 500 ملم مما ينعكس ايجابا على الفرشة المائية ويجعلها تعرف تنوعا في المجاري المائية

كل هذه المميزات كانت لها انعكاسات إيجابية على القطاع الفلاحي الأمر الذي ساهم في الرفع من مردودية الإنتاج وجعلت من هذه الجماعة أهم المناطق الزراعية.

ما يمكن استخلاصه من المعطيات المحصل عليها هو تأكد الفرضيات المتعلقة لكون المؤهلات الطبيعية تشكل أهم العوامل المساهمة على تحريك الاقتصاد المحلي خاصة النشا ط الفلاحي الذي يشكل أهم الموارد الترابية بالجماعة ، فقط هذه المؤهلات والموارد تستدعي ضرورة التدبير العقلاني والاستغلال الأمثل من أجل الحفاظ عليها وكذا تثمينها لتحقيق التنمية الاقتصادية ، على اعتبار تدبير الموارد الاقتصادية وتنميتها رهانا أساسيا بالنسبة لجماعة سبع عيون، كما تأتي أهمية تدعيم هذه الموارد لكون الجماعة لها مؤهلات مهمة في هذا الشأن ، خصوصا على مستوى قطاع الفلاحة، لكن بالرغم من هذا يبقى استغلالها لا يتم بالشكل الذي يجعلها تساهم في تدعيم الاقتصاد المحلي نظرا للتدبير العشوائي، بينما يتم إسقاط قطاعات أخرى مهمة بالمنطقة كالسياحة ، والتي عانت من الإهمال نتيجة النظرة القطاعية التي ركزت على القطاع الفلاحي فقط، وبالتالي فهي بحاجة لتدبير و استغلال معقلن لإنعاش الاقتصاد وتثمينه.

هذه الموارد والجاذبية الاقتصادية للمدينة كانت لها آثار بالغة على سكان المنطقة ومكنت من توافد العديد من الأسر للاستقرار والبحث عن فرص الشغل وساعدت على امتداد هذا المجال نتيجة النمو الديموغرافي والهجرة القروية المكثفة ، مما أدى إلى تحولها من مركز قروي إلى مستوى مركز حضري، نتيجة الدينامية المجالية من خلال زحف التعمير وزيادة الرقعة المبنية على حساب الأراضي الزراعية، خاصة بعد نقل الأراضي للملاكين الشرعيين وتخصيصها للمشاريع العقارية ، وهو ما يظهر جليا من خلال تعدد التجزئات السكنية بالجماعة خلال السنوات الأخيرة على حساب أراضي فلاحية محضة .

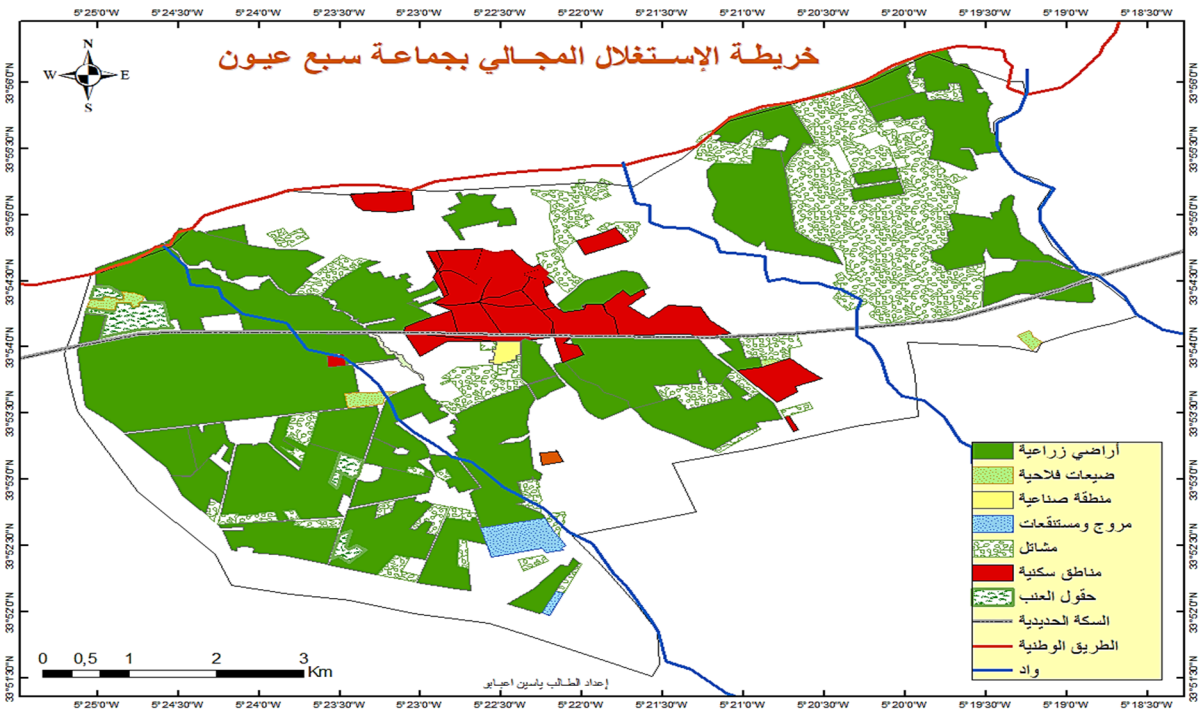

المصدر: إنجاز شخصي باستعمال نظم المعلومات الجغرافية واستنادا على معطيات المصلحة التقنية لبلدية سبع عيون 2023

بقي أن نؤكد بأن التطور الاقتصادي بالجماعة لا يمكن أن يكون فعال إلا إذا كان مقرون ببنية تحتية قوية لاستيعاب التحولات التي يمكن أن تنتج عنها. **على اعتبار** أن التوسع العمراني بمدينة سبع عيون يتم بشكل سريع، وهو ما ويعمق حجم التباينات الاجتماعية والمجالية، إذ أصبحت تخلق لها متاعب تستدعي تصورا جديدا وتضامنا قويا بين كل الأطراف المتدخلة في تدبير واعداد المجال بحثا عن حلول لهذه الوضعية، التي تتضرر منها الجماعة، خاصة أنه يستهلك مجالات زراعية غنية، الشيء الذي يجعلنا نتساءل إلى أي حد سيؤثر هذا على المجال الفلاحي الذي شكل أساس نمو هذا المركز.

3) موارد بشرية مهمة مع تأثرها بخصائص لا تشجع على تسريع وتيرة التنمية

تعتبر الموارد البشرية أساس أي تنمية ممكنة، ولا يمكن أن تتحقق تنميةٌ بمجالٍ ما دون حضور العنصر البشري. هذا الأخير، ستنطبع درجة تأهيله ومستوى تفكيره على بقية الموارد التي يوفرها المجال المحتضن؛ فتكون نتيجة تفاعله معها إما تحقيق تنمية وتحصيل أرباح متنوعة من وراء استغلالها بطريقة تضمن الحفاظ عليها، وإما تحقيق تنمية مع استنزاف الموارد وتوقيف دورها الوظيفي عبر الزمن، وبالتالي، حرمان الأجيال اللاحقة من موارد استفاد منها السابقون ولم يستطيعوا الحفاظ عليها، وهذا هو الفرق بين العنصر البشري المؤهل لاستيطان المجال الجغرافي بشكل مستدام، والعنصر غير المؤهل للقيام بهذا الدور. ففي أية خانة يمكن تصنيف الموارد البشرية بجماعتي الدراسة؟ وما هي أهم الخصائص المميزة لها؟

لا يمكن مقاربة الوضع السكاني لمجال الدراسة خارج السياق الوطني العام، والمتسم بوتيرة تزايد سكانية مهمة مع بداية الاستقلال إلى حدود نهاية القرن الماضي، لتعرف نوعا من الاستقرار في وتيرة التزايد الضعيفة. في هذا السياق، عرفت مدينة سبع عيون تغيرات سكانية مهمة، نبرز سماتها الأساسية من خلال المبيان الموالي:

تطور عدد سكان سبع عيون منذ 1971

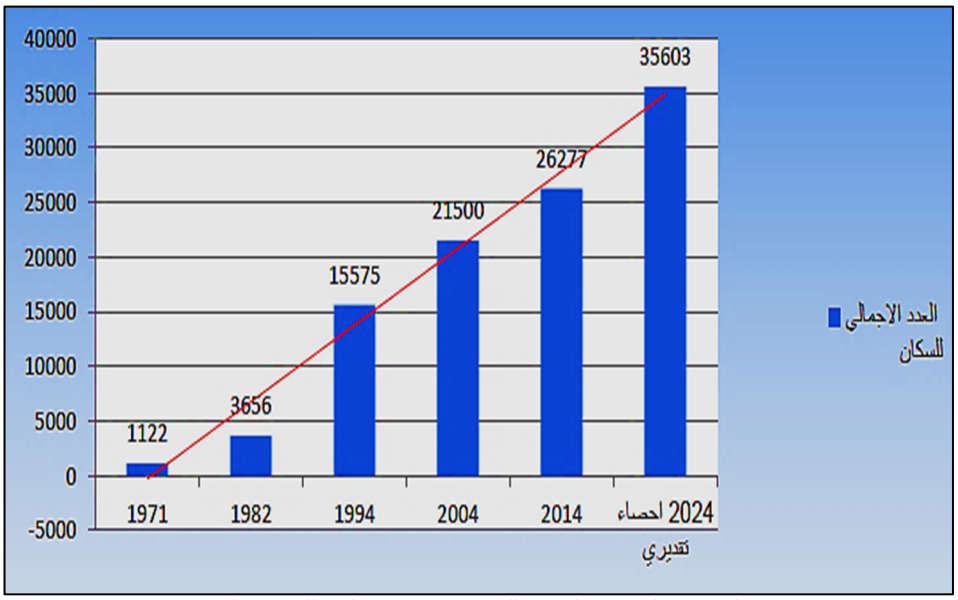

المصدر: المندوبية السامية للتخطيط الإحصاء العام للسكان والسكنى 2014

منذ الثمانينيات، ستعرف الجماعة تطورا مضطربا في عدد السكان، وهو ما تبين إحصاءات الارقام، إذ تضاعفت ساكنة سبع عيون خلال الفترة الممتدة ما بين 1960 و1994 وافرزت هذه الاحصائيات تفاوتات في سرعة النمو وزيادة واضحة في عدد السكان.

تمت تغذية هذا النمو بشكل كبير عن طريق الهجرة القروية والجذب الذي يمارسه القطاع المنتج للمدينة لاسيما النشاط الفلاحي وذلك منذ الفترة الاستعمارية مما شجع العديد من الأسر في التوافد والاستقرار في هذه المدينة الصغيرة وبالتالي تضخم عدد سكانها ليتجاوز عدد سكان هذا المركز الحضري عتبة 30 ألف نسمة. مع العلم سيادة الجماعة للفئات العمرية النشيطة؛ حيث تجاوزت نسبة المتراوحة أعمارهم ما بين (15 و59) سنة 65% من مجموع السكان (الإحصاء العام للسكان والسكنى 2014)، **تتعزز أهمية هذه الفئة بارتفاع عدد الأطفال المرشحين لولوج مرحلة النشاط.**

وعموما يمكن ان نستنتج بأن الجماعة تتوفر على موارد بشرية مهمة يطغى عليها الشباب والأطفال مما يؤشر على مستقبل زاهر ينتظرهما، لكن واقع الحال الذي عيناه من خلال الدراسة الميدانية يؤكد على أن فئة الشباب تمثل طاقات مهدورة في الغالب نظرا لانعدام فرص الترقي الاجتماعي، وهذا ما يجعلها تدور في فلك الهشاشة دون أن تتمكن من تحقيق تنمية تعكس على الوضع الاقتصادي لهذه الفئات النشيطة. كما أن ارتفاع نسبة الأطفال والشيوخ والتي تتطلب رعاية من الفئات النشيطة، تساهم في تأزيم الأوضاع بتراب الجماعة، نظرا لما تتطلبه من تكاليف تشمل الصحة والتعليم والخدمات الأساسية.

هكذا يمكن أن نستخلص بأن سبع عيون تعتبر من الجماعات التي تظفر بمؤهلات وثروات طبيعية مهمة

جعلت منها منطقة فلاحية بامتياز ونشاط رئيسي لشريحة مهمة من ساكنة المنطقة ومحيطها مستفيدة من:

- موارد مائية مهمة سواء السطحية التي تمكن من سقي قطاعات سقوية مهمة بالجماعة فضلا عن وجود موارد مائية باطنية مهمة.
- وجود تربة خصبة وغنية وصالحة للزراعة التي تتلاءم مع مختلف المزروعات ذات الربح الكبير خاصة المثمرة، كالكروم، الخضر والفواكه...
- بنية طبوغرافية منبسطة تسمح بممارسة النشاط الفلاحي، مع ظهير فلاحي جد غن ي ومحدث لفرص الشغل والذي يعتبر عمود الاقتصاد بالجماعة.
- تساقطات مطرية مهمة، وسيادة المناخ المتوسطي الذي يسمح بإنتاج مختلف المنتوجات الزراعية.
- موقع جغرافي متميز بين الثنائية القطبية مع سهولة الولوجيات بين طريق وطنية والطرق الإقليمية؛

إضافة لمحطة للقطار؛ السوق الأسبوعي.

كلها مؤهلات وغيرها تشكل أهم العوامل المساهمة على تحريك الاقتصاد المحلي كما سنرى لاحقا.

II تلعب الموارد الاقتصادية دورا مهما في تحديد الوظيفة المستقبلية للمراكز الحضرية

تلعب الموارد الاقتصادية دورا مهما في التنمية المحلية وتحديد الوظيفة المستقبلية للمراكز الحضرية، وعلى هذا الأساس يمكن اعتبار مركز سبع عيون من المراكز التي عرفت حيوية ديموغرافية وتحولات عمرانية ومجالية مهمة، إلا السؤال المطروح؛ هل واكبت هذه التحولات تحولات في القاعدة الاقتصادية أم ظلت ترتكز على أسس اقتصادية هشة؟

أ- القطاع الفلاحي

يعتبر القطاع الفلاحي عماد الاقتصاد الوطني عموما، وأساس توجهات الدولة والمحدد لسياساتها الاقتصادية. ولا تخرج جماعة سبع عيون عن هذا الإطار ، إذ ترتبط الأنشطة الاقتصاد ية بالجماعة بالمؤهلات التي تزخر بها المنطقة، خاصة الفلاحة التي تظل أحد القطاعات الرئيسة للنشاط الاقتصادي لها، فمنذ مجيئ الاستعمار صارت الجماعة عبارة عن منطقة فلاحية بامتياز وأنشئت بها ضيعات فلاحية بعد إصلاح الأراضي، التي تتميز بمنتوجاتها المختلفة والمتنوعة ، كما يقطنها فلاحون يعملون في مزارع الكروم والحوامض وغيرها التي أنشأها المستعمر الفرنسي نظرا لعدة عوامل أهمها توفر أراضي خصبة وغنية والمناخ الملائم والمياه الجوفية الهامة ، ويتميز النشاط الفلاحي الممارس بتنوع المنتوجات ووفرة المحصول وبغراسة الأشجار المثمرة في الضيعات الصغيرة المسقية الشيء الذي أدى إلى ظهور صناعة غذائية بالمنطقة[7].

تبلغ المساحة الصالحة للزراعة بمنطقة سبع عي ون حولي 3100 هكتار، أي بنسبة 76 % من المساحة

الكلية للجماعة، وهي بذلك تمثل 4.4 % من المساحة الصالحة للزراعة بإقليم الحاجب، منها 1365 هكتار من الاراضي المسقية مقابل 1435 هكتار من الأراضي البورية.[8]

ويتميز الإنتاج الزراعي بمنطقة سبع عيون بالتنوع وتعدد المزروعات، وبشساعة المساحة التي تشغلها هذه المزروعات مثل الحبوب التي تغطي مساحة هكتار والمزروعات الزيتية والخضروات، وكلأ الماشية والقطاني. ويفسر ذلك بالظروف الطبيعية الملائمة من تربة، مناخ وظروف تقنية وبشرية من خلال المكننة واليد العاملة، والزيادة في طرق استخدام الري بالتنقيط والاستخدام المنظم للمنتوجات النباتية وكذلك التقنيات التي تسمح لها بالإنتاج.

استغلال الأراضي الفلاحية بالهكتار بجماعة سبع عيون 2018

منطقة سبع عيون	القطنيات	الخضروات	الزيتيات	العلف	أشجار الفاكهة	المشاتل
	282	1050	1500	800	1233	600

المصدر: المديرية الاقليمية للفلاحة الحاجب المركز الفلاحي عين تاوجطات ملحقة سبع عيون، بتصرف

ما يمكن استخلاصه من حجم استغلال المجال الترابي لجماعة سبع عيون، هو هيمنة القطاع الفلاحي على أغلب ترابه وهذا ما يتضح انطلاقا من الخريطة إذا ما استثنينا مركز المدينة الذي يضم أهم التجمعات السكانية والتجهيزات والأنشطة الصناعية والتجارية. إذ تبلغ المساحة الصالحة للزراعة بمنطقة سبع عيون 3100 هكتار، أي بنسبة 76 % من المساحة الكلية للجماعة، منها 1365هكتار من الاراضي المسقية مقابل 1435هكتار من الأراضي البورية. وهذا ما يعطي لهذا المجال صبغة فلاحية كركيزة أساسية للمنطقة.

ب- قطاع الصناعة

عرف قطاع الصناعة تطورا ملحوظا نتيجة السياسات المتراكمة منذ فجر الاستقلال إلى حدود اليوم. وقد أسفرت هذه السياسات عن مخططات تنموية متوسطة الأمد، هدفت إلى بناء اقتصاد وطني مستقل عن البنيات الاستعمارية الموروثة. وكان من بين نتائجها التأسيس لصناعة وطنية من خلال إنشاء مجموعة من المصانع، غير أن هذا التوجه لم ينجح في خلق صناعات تنافسية متطورة؛ إذ

اقتصرت على بعض الصناعات التحويلية والغذائية. ورغم ما تعانيه هذه البنيات الصناعية، فقد ساهمت في تحريك دينامية التشغيل، وبالتالي، التقليل ولو جزئيا من انتشار مظاهر الفقر والهشاشة بالمدن والأرياف المغربية.

في هذا السياق وعلى غرار النشاط الفلاحي فإن القطاع الصناعي يلعب دورا مهما في البنية الاقتصادية المحلية والجهوية، والذي يتميز بوجود وحدات صناعية لا تقل أهمية في مساهمتها في تحريك عجلة الاقتصاد بمدينة سبع عيون، خاصة الصناعة الغذائية ومواد البناء على غرار معمل نورا ومعمل كاستيل الإخوة للصناعة التحويلية الغذائية ومعمل قنوات البناء..، والتي توفر مناصب شغل قارة وموسمية مهمة وتساهم في تغذية ميزانية الجماعة بموارد مالية مهمة محصلة من الضرائب.

ت– قطاع التجارة والخدمات

تتميز البنية التجارية بمدينة سبع عيون بتضخم نشاط البيع في أرجاء المركز، وهذا ناتج عن أهمية فرع تجارة المواد الغذائية بنسبة تتجاوز 60 % من مجموع فروع البنيات التجارية والتجار المزاولين لهذا النشاط، حيث تهيمن تجارة البقالة وتجارة التجهيزات المنزلية ومواد البناء. أما باقي الأنشطة التجارية فتتوزع بشكل متفاوت بين التجارة في الدكاكين الخاصة والتابعة للجماعة، والباعة المتجولين، و باقي الأعمال الحرة المزاولة.

وما يتضح من خلال البحث الميداني المتعلقة بالبنية التجارية بسبع عيون هو طغيان طابع البساطة على البنية التجارية وضعف قطاع الإنتاج مقارنة بالبيع والخدمات، فهذا القطاع يسجل نشاطا ضعيفا وهذا مرتبط بالطابع الشبه القروي رغم طابع التحضر بهذا المجال والتي يغلب طلبها على صناعات تقليدية وموروثة أحيانا ، كما يبرهن انعدام الأصول الثقافية المنحدرة والمكتسبات الحضارية، وبالتالي يظل البناء وملحقاته مهيمن على هذا القطاع، وذلك في علاقته مع الدينامية المجالية لهذا المركز مقارنة بالإحصائيات السابقة، بينما فروع البنيات التجارية الأخرى مثل تجارة المواد الغذائية فهي لا تترجم ارتفاع مستوى الاستهلاك بقدر ما تفسر نقص فرص الشغل وبالتالي انخراط أغلب الساكنة النشيطة في قطاع التجارة.

أما فيما يخص السياحة فتتوفر المدينة على مؤهلات طبيعية مهمة يمكن إن تشكل قاعدة للاستثمار السياحي، كعين السلطان الواقعة شرق المدينة والتضاريس المحيطة بها، كما يشكل الموقع الجغرافي للمدينة مؤشرا متميزا للاستثمار في هذا المجال، وذلك بتواجدها في مقدمة الأطلس المتوسط على مسافة قريبة جدا من مدن: الحاجب، إفران وإيموزار كندر وأزرو، مع توفر شبكة طرقية مهمة) الطريق الوطنية رقم 6، الطريق السيار والسكة الحديدية (كلها عوامل مساعدة على جعل المنطقة قطب للجاذبية السياحية والتي من المفترض أن تشكل قاعدة للتنمية بالمنطقة، لكن بالرغم من هذه المؤهلات لن ولم يتم استغلال ذلك من طرف الجماعة، فعلى الرغم من وجود الأرضية والمجال الخصب لخلق منتزه طبيعي بنفس مواصفات المنتزهات القريبة من المدينة تضاهي تلك المتواجدة بكل من الحاجب وعين طوطو ..، فسبع عيون تتوفر

على فرشة مائية جوفية وسطحية مهمة كعين خادم وعين السلطان والتي هي في أمس الحاجة إلى بعض أشغال التهيئة لضمان الشعور بالطمأنينة والسلامة للأس، والحاجة للتشجير لخلق متنفس طبيعي للساكنة المحلية وجعلها قبلة للوافدين من النواحي والمدن المجاورة، خصوصا وأن معظم الأحياء والتجزئات الساكنة للمدينة تفتقر للمساحات الخضراء والحدائق العمومية ، وغياب للمرافق الترفيهية والثقافية ، لذا فالمدينة بحاجة ماسة للتأهيل ، هذا وعلى اعتبار المدينة تنتمي الى منطقة فلاحية بامتياز فهناك إمكاني ة أيضا لاستثمارها في مجال السياحة الفلاحية (agro-tourisme) .

هذه الموارد شكلت تحولات مجالية متباينة خاصة على المستوى العمراني حيث يعتبر من المراكز الحضرية التي شهدت تحولات من حيث تطور السكان واتساع الرقعة المبنية وتطور وسائل البناء وتعدد أنواع السكن...، وذلك راجع إلى الهجرة التي تشهدها المراكز نظرا لقربها من المدينتين الكبيرتين كفاس ومكناس، إضافة إلى انخفاض قيمة العقار وغيرها من الأسباب التي تساهم في بروز أشكال التمدين في مثل هذه المراكز.

وتجلت أولى التحولات المجالية لمدينة سبع عيون بظهور العديد من الوحدات السكنية، التي شكلت ملاذا

لغالبية المهاجرين القادمين من أرياف المنطقة أو من المدن الأخرى، وأصبحت تنتظم على شكل أحياء اتخذت عدة ألقاب كالأحياء العشوائية أو غير القانونية [9]، مما أدى لتوسع عمراني مهم من خلال الهجرة الداخلية أساسا حيث استقرار اغلب الأسر الوافدة بمحيط مركز المدينة بأحياء غير مهيكلة بسبب الإكراهات الاقتصادية التي تعاني منها هذه الأسر.

إلا أن تزايد الرقعة المبنية وتضاعف عدد السكان والأسر الوافدة على هذه الجماعة، تضاعف معها حجم

الحاجيات من التجهيزات الأساسية والبنيات التحتية لتأثيث الفضاء العمراني بالمدينة، وفي ظل محدودية الإمكانيات المادية بالجماعة التي لم تستطع مواكبة الخصاص، حيث انعكس ذلك على تحضر ساكنتها ونوع السكن الذي يطغى عليه الطابع الاقتصادي، كما انعكس على جودة الخدمات المقدمة لهذه الساكنة وكذا التجهيزات الأساسية بهذه الأحياء.

فبالرغم من غنى الموارد الطبيعية والبشرية للجماعة، فإن أدائها الاقتصادي يبقى ضعيفا، إذ أن القطاعات الإنتاجية بسبع عيون غير قادرة على الرفع من المداخيل، كما أن جاذبيتها وقدرتها على خلق الثروة، وتوفير فرص العمل وجذب الاستثمارات لا تزال أقل من تطلعات وحاجات سكانها لا تزال الجماعة تعرف هشاشة وتدهورا واضحا في مختلف البنيات التحتية، وافتقار المركز لمختلف التجهيزات الأساسية (ضعف في نسبة تغطية الأحياء بشبكة الصرف الصحي وعدم شمولية التطهير الصلب، انعدام الشبكة الطرقية الحضرية لمجموعة من الأحياء..) كما أن التوزيع المجالي للتجهيزات المتواجدة، يظل متركز على طول الطريق الرئيسية بعيدا عن الأحياء والدواوير المتفرقة الأخرى.

صحيح أن وضعية الموارد التي تزخر بها المنطقة جعلت منها محطة أنظار العديد من المستثمرين منذ الاستعمار بخلق ضيعات فلاحية واستصلاح الأراضي وجعل من جماعة سبع عيون قطبا اقتصاديا يعتمد بشكل أساسي على النشاط الفلاحي ، كما أن الظروف الملائمة لذلك مكنت هذا المجال من تحويل المنتوجات الفلاحية لصناعات غذائية ، لكن هذا القطاع الذي تم الإتكال عليه منذ القرن الماضي، والذي كان من المفروض أن يشكل قاطرة لتأهيل الاقتصاد المحلي، تعقبه عدة إكراهات بنيوية ،ولم يعد بتلك الأهمية في الظرفية الراهنة، مع لإكراهات الاقتصادية والاجتماعية التي تعاني منها الأسر وعدم قدرة الجماعة على تلبية حاجيات الوافدين إليه من تجهيزات أساسية و بنيات تحتية، وافتقار الجماعة لمختلف المرافق التي توفر خدمات للمواطنين وتساهم بشكل فعلي في التنمية المستدامة والاستقرار أهمها : الأسواق والمرافق التجارية والخدمات التي من شانها تحسين وضعية الساكنة والتشجيع على ممارسة كل أصناف التجارة الخدماتية ومنتوجات الصناع وباقي الخدمات التي تدفع ساكنة سبع عيون إلى التنقل إلى مدينة مكناس اقتنائها، علما أن ضعف الاستثمار بالجماعة خلال السنوات الأخيرة لها انعكاسات واضحة على مداخيل الجماعة، وكذا الإمكانيات المادية المحدودة لها، كلها عوامل من بين أخرى تحول دون تحقيق تنمية حضرية وإمكانية الاستثمار والقدرة على التنافسية ، لذا ينبغي البحث عن مرتكزات جديدة للتنمية وإشراك كل الفاعلين من مختلف المصالح، وتقوية دور المجتمع المدني و دعمه ومشاركته في إنجاز

البرامج والاختيارات التي تهم مستقبله، و بذلك ستمكن المواطن من الاشتراك الفعلي بتدبير شأنه المحلي والتنموي، وبروز أهمية التنافسية المجالية، واعتماد التنمية المحلية، وحل المشاكل العقارية التي تعي ق التنمية الحضرية للمركز وتعرقل محاولات الإعداد والهيكلة، عبر توفير الوعاء العقاري وتنظيمه حتى يكون أداة للتنمية وجلب الاستثمارات، والتحكم في التوسع الحضر ي للمركز عل ى مستوى الأحياء التي تفتقر إلى التجهيزات الأساسية من خلال إنجاز مخططات للتنمية الحضرية وإنجاز تصاميم عمرانية لتنظيم قطاع السكن وإعادة هيكلة الأحياء المتدهورة وتغطيتها بالتجهيزات الأساسية، في إطار الشراكة بين السكان والجماعة .

وكخلاصة يمكن القول بأن تداعيات بطىء التنمية الاقتصادية بالجماعة تترجم من خلال الظروف المعيشية

التي تعرفها الساكنة، حيث تعاني بشكل كبير من مشاكل اجتماعية تتفاوت درجاتها بين مختلف مكونات

الجماعة، وترجع في معظمها للتحولات التي شهدتها، فبينما اقتصر دور المدينة على الوظيفة الإدارية، بدأت تعرف في العقود الأخيرة توسعا حضريا بفعل التزايد الديمغرافي والهجرة القروية، وقد ترتب عن هذا الوضع ظهور أشكال جديدة في إنتاج السكن والأنشطة، كما يعرف محيطها القروي عدة اختلالات، الشيء الذي يحول دون مساهمتها في إنجاز البنيات الأساسية للمناطق التابعة لها وقصورها عن القيام بدور القطب المحلي، إضافة إلى منافسة كل من مدينتي الحاجب ومكناس. وبذلك فسبع عيون تعيش في سياق إقليمي صعب لا يمنحها الفرصة للإقلاع الاقتصادي والاجتماعي، مما يقتضي جعل تعبئة الموارد البشرية والمادية في مقدمة الأولويات لتحقيق التنمية الشاملة والمندمجة، خاصة أن المنطقة تتوفر على إمكانات وموارد ترابية مهمة قادرة على تعزيز مكانتها على الصعيدين الإقليمي والجهوي.

خاتمة

لقد خلصنا في دراستنا هاته ، على أن الجماعة الحضرية لسبع عيون عرفت تحولات مجالية واجتماعية مهمة منذ القرن الماضي في شتى المجالات مستفيدة من موقعها الجغرافي المتميز بين قطبي المدينة الإسماعيلية مكناس والعلمية فاس، وتوفرها على شبكة طرقية ومؤهلات طبيعية مهمة ساهمت في توافد العديد من الأسر للاستقرار في هذه البلدة الصغيرة، الأمر الذي تولدت من خلالها تحولات هائلة شملت الجانب البشري الذي كان وراء تكثيف آليات التعمير بالمدينة وهو ما ساعد على امتداد هذا المجال وامتداد مدارها نتيجة الضغط الديموغرافي والهجرة القروية المكثفة، الأمر الذي ساهم في تحولها من مركز قروي إلى مستوى مركز حضري منذ عام 1992 حتى أضحت سبع عيون حاليا من بين المدن الحديثة الأكثر ديناميكية بإقليم الحاجب.

ولعل دراستنا للموارد الترابية بالجماعة قد أبرزت جل المؤهلات وكذلك الوضعية الراهنة التي توجد عليها ومدى مساهمتها في النهوض بالتنمية المحلية ، فهذا المجال يضم مجموعة من المؤهلات والموارد الطبيعية، بالإضافة إلى ثروة بشرية مهمة تشكل فيها الفئة الشابة الفئة الأساس ، كل هذه الموارد تجعل من هذا المجال غني من كل الجوانب مما يوفر للمنطقة إمكانية استغلال هذه الموارد الترابية بهدف تحقيق استثمار وتنمية اجتماعية حقيقية تضمن العيش الكريم للساكنة، وتحقق نوع من العدالة الاجتماعية وتعمل على إزالة كل مظاهر الفقر والهشاشة الاجتماعية والاقتصادية...

لكن وبالرغم الموارد والمكانة المتميزة على الصعيد الإقليمي مجاليا والتحولات المجالية لهذا المركز ومشاريع التطوير الحضري ، لا يمكن إغفال العديد من القضايا التي لها دور حساس في تنمية مستقبل الجماعة خاصة وأنه أصبحت في منافسة شديدة بشكل متزايد مع المراكز المحيطة بها من الناحية الاقتصادية، أكثر من ذلك أضحت تصطدم بمعيقات ناتجة أساسا عن الجانب البشري والمتمثل في سوء التدبير وغياب سياسات استشرافية ذات بعد مستقبلي تهدف الى النهوض بمستوى التنمية، الشيء الذي ينعكس سلبا على المنطقة ويجعل منها لا تستفيد من هذا الثروات والموارد التي تتوفر عليها إلا بشكل متواضع، في حين أنه كان من المفروض أن تصبح هذه الأخيرة الدعامة الأساسية التي ينبني عليها اقتصاد وقاطرة التنمية المحلية للمنطقة.

فهل يتعلق الأمر بعدم حاجة المسؤولين إلى مداخيلها؟ هل يتعلق الأمر بالجهل بوجودها، أم بغياب تصور

عما يمكن أن يوفره استغلالها من منافع؟

الهوامش:

[1] محمد سعيد الحفار، الموسوعة البيئية والتربية البيئية، المجلد التاسع، الدوحة 1998، ص 1778

[2] محمد بودواح، دور زراعة الكيف في التحولات الاقتصادية والاجتماعية والمجالية وآفاق التنمية في جبال الريف، أطروحة الدولة في الجغرافية، جامعة محمد الخامس، 2002/2001 ص 3

[3] PERRET, Jacques : Les méthodes de diagnostic de petites régions: ingénieur, pasteur et animateur à l'ouvre. In: BRUNO Jean et DANIELLE Lafontaine (Dir), Territoires et fonctions: les systèmes régionaux et les dynamiques d'innovation en débats, Tom 2, Edition GRIDEQ et CRDT/2005, Québec, Canada 2005, P 192

[4] محمد شعبان، التنمية الترابية بين النظرية وسؤال التسويق الترابي، مجلة إضاءات، مختبر الدراسات والأبحاث في التنمية الترابية، جامعة ابن طفيل، القنيطرة، المغرب، ص 69_70_79.

[5] ياسين اعبابو، التحولات السوسيومجالية ورهان التنمية الترابية بجماعة سبع عيون إقليم الحاجب، بحث لنيل شهادة الماستر في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة المولى إسماعيل مكناس 2023 ص 26

[6] l'urbanisation, facteur de développement ou d'exclusion de l'agriculture familiale en périphérie des villes .le cas de la ville de meknès ,maroc ; elodie vallette et patrick dugue p : 4

[7] ياسين اعبابو، الموارد الترابية والتنمية المحية بجماعة سبع عيون، بحث لنيل الإجازة في الجغرافيا، كلية **الأدب** والعلوم الإنسانية، جامعة المولى إسماعيل 2018

[8] L'urbanisation, facteur de développement ou d'exclusion de l'agriculture familial en périphérie des villes le cas de la ville de Meknès Maroc, ELODIE VALETTE ET PATRICK DUGUE. VERTIGO-la revue électronique en sciences de l'environnement.

9 عبد الحفيظ حميمي – علال زروالي 2022 ضواحي المدن ومظاهر التكيف، ضاحية مدينة وحدة: التحولات ومظاهر التكيف، كلية الانسانيات والعلوم **الاجتماع**ية، جامعة الأخوين، إفران طبع ونشر: مؤسسة مقاربات ص 383